

الكورنثيون في القرن الميلادي الأول يعيشون في صحب دائم. وكان ميناؤهم يعجّ بالحركة ويقصده أناس من

شقيّ المشارب والمضارب، يجلبون معهم من مختلف أنحاء البحر المتوسط أفكارًا متناحرة، ولا يتورعون عن ارتكاب أقبح الكبائر. وقد أمضى القديس بولس 18 شهرًا بينهم، يبشّرهم بالإنجيل، ويعزز الكنيسة، ويعلمهم الأخلاق الحسنة.

لكنّ الناس لا يتغيرون بين ليلة وضحاها، فقد احتفظوا بكثير من عاداتهم السيئة رغم اعتناقهم الإيمان بالمسيح. فكتب لهم بولس أكثر من مرّة ليحدّ من غلواتهم ويروضهم، ويلقنهم السلوك اللائق لا سيّما عند تناول القربان المقدس، لأنهم كانوا إذا اجتمعوا للاحتفال بعشاء الربّ يتنازعون ويتشاحنون. ومما كتبه لهم: "أيّ إنسان يأكل خبز الربّ أو يشرب كأسه بلا استحقاق، يكون مجرمًا إلى جسد الربّ ودمه. فليختبر الانسان إذن نفسه. وعندئذ فقط فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، لأنّ من يأكل ويشرب بلا استحقاق، إنّما يأكل ويشرب دينونةً لنفسه، إذ لم يميّز جسد الربّ. من أجل ذلك كثيرون فيكم مرضى وسقماء وكثيرون قد رقدوا." (1 كورنثس 11: 27-30). إذن كان بولس يرى أنّ المرض والموت الرّوحانيّ ناجم عن عدم تمييز جسد الربّ في الإفخارستيّا (القربان المقدس). فما المقصود بذلك؟

تمييز واحترام جسد المسيح

المقصود بهذا التعبير هو أن ندرك ما هو القربان المقدس وما هو أثر المناولة في حياتنا. فعلى المتناول

أن يعرف ما الذي يتناوله. كما ينبغي أن تظهر نتائج هذه المعرفة في حياته. علينا إذن أن ندرك بكل ما أوتينا من قدرة، أن القربان المقدس هو جسد ودم الربّ في سرّ الإفخارستيّا، أي ليس جسد ودم الربّ المصلوب الفاقدا للحياة، بل جسد ودم الربّ الحيّ، الذي داس الموت ونحس ظافرًا. كما ينبغي علينا أن ندرك أنّنا نتناوله "لمغفرة الخطايا والحياة الأبدية". وهذا يعني أن نتقدّم للتناول "بمخافة الله وإيمان ومحبة" كما جاء في قدّاس يوحنا الذهبيّ الفم، مُعجبين بهذا الشرف العظيم الذي نلناه من الله على غير استحقاق من قدرة، أن القربان المقدس هو جسد ودم

الربّ في سرّ الإفخارستيّا، أي ليس جسد ودم الربّ المصلوب الفاقدا الحياة، بل جسد ودم الربّ الحيّ، الذي داس الموت ونحس ظافرًا. كما ينبغي علينا أن ندرك أنّنا نتناوله "لمغفرة الخطايا والحياة الأبدية". وهذا يعني أن نتقدّم للتناول "بمخافة الله وإيمان ومحبة" كما جاء في قدّاس يوحنا الذهبيّ الفم، مُعجبين بهذا الشرف العظيم الذي نلناه من الله على غير استحقاق منّا. والقربان المقدس يُعطى لنا، ونحن جميعّ المشتركين في الخبز الواحد والكأس الواحدة، لنكون متّحدين بعضنا ببعض في شركة الرّوح القدس الواحد. "قدّاس القديس باسيليوس الكبير). وهذا يقتضي من كلّ من يتقدّم ليتناول سرّ الوحدة أن يكون واحدًا مع من هم حوله، وإلا فهو لا يميّز جسد الربّ.

منذ القرن الرابع أو الخامس حتّى عصرنا هذا تقريبًا، وضرورة هذا التمييز راسخة في قلوب معظم المسيحيّين، إلى حدّ أنّهم لا يتناولون القربان المقدس إلاّ في الأعياد الكبرى. فبدلا من أن يستعدّوا الاستعداد اللائق ويتناولوا، نراهم يتعدون عن مائدة الربّ! لكن في غضون المئة سنة الماضية تغيّرت هذه التّزعة، وصار معظم الناس يتناولون بانتظام في كلّ قدّاس يحضرونه. ولكن غالبًا ما يترك بعضهم الانطباع أنّهم لا يميّزون جسد الربّ، كما يشير إلى ذلك سلوكهم في أثناء القدّاس. فهم لا يكتفون عن التّرتبة حتّى وهم ينتظرون دورهم ليتناولوا، أو وهم راجعون إلى مقاعدهم و القربان المقدس لا يزال في أفواههم. ومنهم من يُضمّر الحقد على غيره، حتّى على الذين تقدّموا للتناول معه! ولئن كنّا نفرح برؤية المؤمنين يُصغون إلى دعوة الربّ ويتناولون، إلاّ أنّنا نأسف لكون كثير منهم لا يميّزون جسد الربّ.

وبما أنّ "تمييز جسد الربّ" يقتضي الاحترام للقربان ومحبتنا بعضنا بعضًا، فقد ابتكرت كنيسةنا عبر القرون الوسائل التالية استعدادًا لتناول القربان المقدس:

الاستغفار

السيد المسيح، مشيرًا إلى الأضحى التي كان اليهود يقدمونها إلى الهيكل في عصره، عملاً بفرائض العبادة عندهم: "إنّ جمّت بقربانك إلى المذبح وتذكّرت هنالك أنّ لأخيك عليك شيئًا، فدعّ قربانك هنالك قدّام المذبح، وامض أولاً فصالح أحاك،

وحيثُ ائت وقرب قربانك." (متّى 5: 23). فالعبادة الصّادرة عن قلب يسوده البغض والحقد وغير ذلك من الانفعالات الرديئة، هي غير مقبولة عند الله. لذا كان أول استعداد للتناول هو تسوية الخلافات القائمة بيننا وبين الآخرين. وقد أدخلت كنيسةنا وصية الربّ هذه في القدّاس الإلهي وسمّتها "قبلة السلام". وهي تسبق الصلّاة الرئيسيّة في الأنافورة. وفيها تأمرنا أن "نحبّ بعضنا بعضًا لكي نعرّف بنية واحدة" مقرّين بما أحسن به الله إلينا.

ومن العادات الشائعة بين المسيحيّين في الشرق أن يدوروا على الأقرناء والأصدقاء ويستغفروهم قبل أن يتناولوا جسد الربّ. أمّا المغزى فواضح: لا يجوز لنا أن نتناول سرّ المحبة إذا كانت قلوبنا خالية من المحبة. وإن لم تكن فينا المحبة فعلينا أن نسعى لإحرازها.

صلوات الاستعداد

كتاب الصلّاة" الملكيّ على كنز وافر من الصلّوات التي تُتلى استعدادًا للتناول. وفي بعض الكنائس

" يتلى عدد من هذه الصلّوات جماعيًا.

كما تحثّ الكنيسة المؤمنين على تلاوة بعض هذه الصلّوات في هذه الصلّوات في بعض الكنيّيات المستعلة في أبرشيّتنا ومنها "كتيب صلاة العشار". ومن أهمّ التّصائح التي نوجهها إلى المؤمنين في هذا الصّدّد، أن يقوم الوالدان بتلاوة بعض هذه الصلّوات في عائلاتهم قبل الذهاب إلى الكنيسة، لا سيّما إذا كان عندهم أطفال صغار، لكي يرسخوا في أذهانهم الاحترام الواجب للقربان المقدس.

الصوم الإفخارستيّ

هنالك طريقة أخرى نعتّق بها وعينا للنعمة الفريدة التي نالها عند تناولنا القربان المقدس، وهي الالتزام

بالصوم الإفخارستيّ. فكما نتأهب روحياً بالصوم للاحتفال بعيد الفصح وعيد الميلاد، كذلك يجدر بنا أن نستعدّ بالصوم للمشاركة في الوليمة الإفخارستيّة. وبذلك نعلن أنّنا ننظر الغذاء الرّوحانيّ من القربان المقدس الذي ينطوي على الخبز الجوهريّ، خبز الحياة. ولئن كان هذا الصوم لم يعد يُطبّق حرفيًا كما في الماضي، فإنّه لا يفقد شيئًا من قيمته الرّوحية في نظر كلّ من يرى فيه تذكيرًا بأنّ السيد

المسيح هو الذي يغدِّنا، وهو في الوقت ذاته غذاؤنا. وعليه، نحْتِ المتناولين على الصّوم من منتصف الليل، إن أمكن، أو على الأقلّ بضع ساعات وفق ما يسمح به وضعهم الصحيّ. وإذا اقتربنا من مائدة الربّ ونحن ممثلون طعافاً، أو إذا توقّفنا في بهو الكنيسة لاحتماء فنجان من القهوة قبل القدّاس، فأقلّ ما يمكن أن نستنتجه من هذا السلوك هو أننا نتمتّع بأفراح الغرس قبل وصول العريس!

الاقتراب من مائدة الربّ

الغناء ألاً تناول القربان المقدّس بمهابة عظيمة، بعدما تنتقى بالصلاة والصّوم على قدر المستطاع (1 كورنثس 11: 26-31) وعندما يحين وقت المناولة، علينا أن نتقدّم واضعين اليد اليمنى فوق اليسرى بشكل صليب على صدرنا. وبينما يتناول الشخص الذي أمامك قُم بمطانية (إحناء مع رسم إشارة الصليب). وإذا كان الكاهن لا يعرف اسمك، فاذكره له ليسميك وهو يناولك قائلاً: عبد الله (فلان) يتناول جسد ودم ربنا... ثمّ افتح فمك جيّداً وامتنع عن قول أي شيء، نحو "آمين" أو "شكراً"، بينما يمنحك الكاهن السرّ المقدّس. في الكنيسة الملكية يُعطى القربان المقدّس عادة بغمس جزء من الخبز المقدّس في الكأس المقدّسة ووضعه في فم المتناول. أما اللسان فيجوز مده قليلاً. غير أنّ معظم الكنائس البيزنطية توزّع المناولة بملعقة. في هذه الحالة لا يجوز للمتناول أن يمدّ لسانه ولا أن يغلق فمه قبل أن يسحب الكاهن الملعقة تماماً. وإذا كان الكاهن يمسك مندبلاً مع الكأس، فعليك أن تسمح به شفتيك بعد المناولة، ثمّ تنحّ جانباً وقُم بمطانية، قبل العودة إلى مكانك.

أداء الشكر للربّ

ترنمة وطلبة وصلاة في القدّاس غايتها أداء الشكر لله امتناناً، وإقراراً بفضلته إذ أعطانا خبز الحياة. "لقد نظرنا الثور الحقيقيّ وأخذنا الرّوح السّمائيّ..." وفيما نشكره، نذكر الحياة السّامية التي منحنا إياها مع القربان المقدّس. وقد وضعت الكنيسة عدداً من الصّلوات الخاصّة بالشكر، تقال بعد التناول، أسوءً بصلوات الاستعداد. ويمكن أن يقال بعضها بينما يتمّ توزيع الخبز المبارك (أنتيدورون) على الشعب في ختام خدمة القدّاس.

ومن شأن هذه الصّلوات أن تساعدنا في ما نبذل من جهد لنميّز جسد الربّ، إن نحن تمعنّا فيها جيّداً أو تلونها على انفراد. ومن المفيد لأطفالنا أن تتلو تلك الصلوات في نطاق العائلة لدى عودتنا إلى المنزل، فيتعلّم أولادنا أن يقدرُوا السرّ العظيم الذي اشتركوا فيه.

خطاب يوحنا الذهبيّ الفم في أهمية الاستعداد للتناول

الأحبّاء المجتمعين في هذا الهيكل المقدّس لعبادة الله

إخوتي

الحيّ، بالتقوى والبرّ وللاشتراك في أسرار المسيح

المقدّسة الخالدة الطاهرة الرهيبة: أصغوا إليّ مهما كنتم وضيّعاً وغير مستحقّ، فلست أنا الذي يتكلّم ويعلم، بل نعمة الرّوح الكامل القداسة، الصّالح، واهب الحياة. كما أنّي لا أتكلّم باسمي، بل بما تلقّنت من القوانين المقدّسة، وآياتنا الأبسي الله، والتعلّم الذي تلقّته الكنيسة المقدّسة من الرّسل القديسين الملهمين من الله. أما أنا فأوضّع وأصغر الناس. إنّني لا أعلم أفعالكم ولا حاجاتكم، إنّما أعلم فقط خوف الله الذي يأمر كلّ واحد منّا، رجلاً كان أم امرأة، كبيراً أم صغيراً، بما يلي: من كان منكم مرتكباً خطيئة، أو كان ضميره يؤثبه على ذنب ما، فلا يتجاسرُ ويقترّب من هذه النار المقدّسة، إلّا بعدما يتوب ويعترف، لأنّ الله نار آكلة. أما إذا دُتّمت بإيمان ومهابة من إلهنا وملكننا ودَيّان البشر جميعاً، فإنّه سيُحرق خطاياكم بكاملها وبمألفوسكم نوراً وقداسة. أما من لا إيمان في قلبه وتقدّم دون حياء، فالله سيحرقه نفساً وجسداً. "لهذا السبب كثيرون منكم مرضى ومن جزاء مرضهم يرقدون"، أي يموتون قبل أن يتوبوا وتُغفر لهم خطاياهم.

وعليه، أتوسّل إليكم، إخوتي، وأقول: لا يجوز لمن يكفر بالله ويحنّث بقسمه ويكذب ويتعاطى الدّعارة والرّنا والشّدوذ الجنسيّ والسّحر والعرافة والسّرقة والبدع، أن يتقدّم من أسرار المسيح الرهيبة أو يمسه، ما لم يُتّب أولاً ويتأهب للتناول "لأنّ الوقوع في يد الله الحيّ أمر رهيب... وكلمة الله أمضى من سيف ذي حدّين يخترق الأوصال والتخاع وينفذ إلى القلوب والعظام. فاحذروا إذن، إخوتي. ولا يقترّب أيّ إنسان غير تائب أو غير مستعدّ أو غير مستحقّ من هذه الأسرار الرهيبة أو يقبلها، لأنّ الله يقول: "أنا الربّ إلهكم، لا إله دوني، أميت وأحيي، ولا مفرّ لأحد من يدي."

الاستعداد

لتناول القربان المقدّس



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق الطبع والنشر محفوظة
للصور المأخوذة من مجلة صوفيا
للروم الملكيين الكاثوليك أبرشية نيوتن